نص المداخلة المقترحة للمشاركة في الملتقى الوطني

(مدرسة الإمام البخاري في الجزائر).

عنوان المداخلة: **التقاليد الجزائرية في قراءة و ختم صحيح البخاري من خلال كتاب الرحلة لابن حمادوش الجزائري (ت 1200هـ تقريبا)**.

محور المداخلة:قراءة صحيح البخاري و مجالس تسميعه في الجزائر.

اسم الباحث: د/**صرموم رابح**.

الرتبة: أستاذ محاضر أ.

المؤسسة: كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية –جامعة وهران 1-

البريد الإلكتروني: rabah.116@gmail.com

الهاتف:0773085867

الملخص:

تناول هذا البحث موضوعا مهما يتعلق بمدى عناية و اهتمام الجزائريين بصحيح البخاري ، حيث يتحدث فيه الباحث عن أهم المناسبات التي كان يحرص فيها الجزائريون على قراءة و سماع و ختم صحيح البخاري، و أهم العادات و التقاليد التي ميزت احتفالاتهم بهذه المناسبة خاصة في شهر رمضان ، و ذلك من خلال كتاب الرحلة لابن حمادوش الجزائري الذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي وثقت لهذه العادات و التقاليد.

الكلمات المفتاحية: صحيح البخاري، القراءة ، الختم ، ابن حمادوش، كتاب الرحلة.

Abstract :

Title of research : Algerians Traditions In Reading an Sealing of Sahih Al-Bukhari Through The book Al-Rihla of Ibn Hammadush Al-Jazairi

This study adresses an important topic related to Algerians interest in Sahih Al-bukhari.

Where the researcher talked about the customs and traditions that distiguished Algerians where reading an completing Sahih Al-bukhari through the book AL-rihla of Ibn Hammadush Al-Jazairi which is considered one of the most historical sources that documented these traditions.

Key words :Sahih-Al bukhari ,reading,completing,Ibn-Hammadush, Al-rihla book.

مقدمة:

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ، وبعد:

فقد حظي صحيح الإمام البخاري في الجزائر باهتمام كبير ، من قبل العامة و الخاصة –علماء و سلطة حاكمة– عبر مر الأزمان ، ومن مظاهر ذلك الاهتمام تلك العادة الحسنة التي دأب عليها الجزائريون وهي : قراءة و ختم صحيح البخاري مرة في السنة ، ويكون ذلك خلال ثلاثة أشهر هي: رجب و شعبان و رمضان ، حيث يختم سرده في ليلة القدر، وقد كان لهذه القراءة و الختمة طقوس و رسوم خاصة توارثها الجزائريون جيلا بعد جيل احتفاء و تعظيما لهذا المصنف الجليل.

وفي هذا السياق و إسهاما في إثراء موضوع هذا الملتقى الموسوم بـ(مدرسة الإمام البخاري في الجزائر) جاءت هذه المداخلة التي يحاول فيها البحث إبراز أهم العادات و التقاليد الجزائرية في قراءة و ختم صحيح البخاري، وذلك من خلال ما سطره العالم الجزائري (عبد الرزاق ابن حمادوش ت1200هـ) في كتابه (لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال) الذي يعرف بـ(رحلة ابن حمادوش الجزائري) ، وتأتي أهمية هذه المداخلة في كونها توثق لهذه العادات و التقاليد من المصادر التاريخية الصحيحة ، خاصة إذا علمنا أن صاحب الرحلة كانت قد أسندت إليه وظيفة سرد صحيح الإمام البخاري في المسجد الكبير بالعاصمة ، فكتابه إذن يعتبر من المصادر المهمة التي توثق لهذه العادات و التقاليد التي دأب عليها المجتمع الجزائري في قراءة و ختم صحيح البخاري ، وقد عنوت هذه المداخلة بـ(**التقاليد الجزائرية في قراءة و ختم صحيح البخاري من خلال كتاب الرحلة لابن حمادوش الجزائري (ت 1200هـ تقريبا)**، حيث قسمتها –مع مقدمة و خاتمة– إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بابن حمادوش الجزائري و كتابه (لسان المقال) .

المبحث الثاني: مجالس سماع البخاري في الجزائر تاريخها و تقاليدها و أشهر أعلامها.

المبحث الثالث: مجالس سماع البخاري و تقاليدها من خلال رحلة ابن حمادوش.

المبحث الأول: التعريف بابن حمادوش الجزائري و كتابه (لسان المقال) .

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.[1]

نسبه و مولده:

هو أبو الحسن عبد الرزاق بن الحاج محمد بن امحمد المعروف بابن حمادوش الجزائري الدار، الأشعري عقيدة، المالكي مذهبا، الشريف نسبا، مؤرخ، ونسابة، وطبيب، وصيدلي، وفلكي.

أثبت نسبه الشريف وحرص عليه حرصا كبيراً، حفاظاً على مكانته وكرامته، فلم يفوت فرصة إلا وذكر فيها نسبه الشريف.

ولد عبد الرزاق ابن حمادوش سنة[1107هـ- 1695م]بمدينة الجزائر، وهو ما يذكره المؤلف بنفسه، بقوله:"ثم الأجه أحمد عام 1107 سبعة ومائة وألف. وفي هذه السنة في رجب كانت ولادتي"[2]، كما يشير في العديد من المناسبات إلى ذلك حينما يُذّكِر بسنّه، قوله في إحداها: (إلى يوم الخميس ثالث صفر الموافق ثالث عشر فبراير تمت لي خمسون سنة عجمية، وافتتحت سنة 51 عجمية من ولادتي، وفقني الله للهدى).[3]

كانت أسرته من طبقة الحرفيين التي كانت تمارس التجارة و لا تهتم بالسياسة و الرياسة إلا قليلا، وكانت حرفتها هي الدباغة حيث كان يوصف والده بالدباغ.

---

[1] -تنظر ترجمته في الكتب التالية :

-أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر، 1991م، ج471/1.

-الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1969م، ج352/3.

-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للنشر و الطبع، ط1، بيروت، 1975م،ص365.

-أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته و آثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 2005،ص27.

[2] -لسان المقال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1983، د.ط، ص226.

[3] -المصدر نفسه ، ص 253.

تزوج زواجه الأول من ابنة عمه ، و أما زواجه الثاني فكان من ابنة أمير الصفارين (النحاسين)، وكان له منها ولدين ، مات أحدهما صغيرا ، و عاش ابن حمادوش فقيرا لأنه امتهن العلم ولم يمتهن الدباغة.[4]

طلبه للعلم:

تثقف ابن حمادوش و تلقى تعليمه الأول على شيوخ بلده في الجزائر ، ومنهم الشيخ محمد بن ميمون ، كما حصل على قدر كبير من العلوم الشرعية من معاصريه قراءةً وإجازةً، في الفقه والأدب والتاريخ والتصوف، وومن عاصرهم من الأدباء و العلماء: أحمد بن عمار، و المفتي الشاعر ابن علي، و عبد الرحمن الشارف، و أحمد الزروق البوني، و أخذ بتونس عن عالمها الشيخ: أبي عبد الله محمد زيتونة ، وكان يدعوه (شيخنا) ، و أما في المغرب فقرأ و أجازه: محمد بن عبد السلام الفاسي، و أحمد الورززي التطواني، و أحمد السرائري، و أحمد ابن المبارك، ورحل إلى مصر فأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن مصطفى الصباغ الإسكندري.

وكانت ثقافة ابن حمادوش هي ثقافة معاصريه ، ولكنه انفرد عنهم بالتخصص في الجانب العلمي من هذه الثقافة ، فبينما درس مثلهم العلوم الشرعية و اللغوية ، و أخذ العلم مثلهم أيضا قراءة و إجازة ، إلا أن اهتمامه كان منصبا على العلوم الطبية و الرياضية و ما شاكلها ، فدرس كتب ابن سينا ، و إقليدس، و القلصادي، و الأنطاكي، و ابن البيطار...وغيرهم من علماء المسلمين و اليونان ، و كان يجري التجارب العلمية ، فيركب المعاجين الطبية ، و يختبر موازين المياه ، و يرسم الرخامة الظلية .....فكان صيدليا، وطبيبا ، و فلكيا ، وهذا الاهتمام هو الذي جعل مؤلفاته يغلب عليها الطابع العلمي أكثر من الطابع الفقهي أو الأدبي الذي شاع عند علماء عصره.[5]

مؤلفاته:

أ–مؤلفاته في العلوم الطبية و الرياضية:

-كشف الرموز في شرح العقاقير و الأعشاب.

-بغية الأديب في علم التكعيب.

---

[4] -أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة ، 2007، ج 225/1.

[5] -أبو القاسم سعد الله ، المصدر نفسه ، ج226/1.

-الجوهر المكنون من بحر القانون (كتاب في الطب).

-تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.

- ولابن حمادوش تآليف أخرى في مواضيع مختلفة، فقد ألف في علم الفلك، وفي الاسطرلاب (الربع المقنطر)، وفي القوس لرصد حركة الشمس، وفي الروزنامة، وفي الرخامة الظلية بالحساب، وفي علم البلوط (معرفة الطرق البحرية)، وفي الطاركة لرسم اتجاهات رياح البحر، وألف في صورة الكرة الأرضية، وتعليق على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا وغيرها.

ب-مؤلفاته في العلوم الأخرى:

-الدرر على المختصر (علم المنطق).

-السانح في حواشي المتن و الشارح (شرح على ألفية ابن مالك).

-لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال (كتاب الرحلة).

-وله ديوان في الشعر ، و بعض المقامات الأدبية ، و تآليف معظمها صغير الحجم ، و أغلبها ضائع ، و في جملتها كتب علمية.[6]

عصره:

عاش ابن حمادوش خلال القرن الثامن عشر ميلادي ، و عاصر خلال عمره الطويل أحداثا هامة في بلاده و في العالم ، سياسية و اجتماعية و اقتصادية ، أما الأحداث في الجزائر فكان عصره هو عصر الباشوات ، الذي استقلت فيه الجزائر عن الدولة العثمانية، و استبد فيه الباشوات بالحكم فمارسوا دكتاتورية مطلقة ، وقد ذكر في رحلته بعض الثورات الداخلية ، مثل ثورة أهل زواوة ، كما تحدث عن الصلح مع الدنمارك ، كما عرف عصره تسلط اليهود على الاقتصاد الجزائري ، وعرف تطورات اجتماعية و ثقافية أثرت على حياة ابن حمادوش ، فكان حديثه عن الزواج ، وضيق موارد الرزق ، و غلاء الأسعار في الأسواق ، وكل ذلك يعكس الجو الاجتماعي و الاقتصادي الذي كان يعيشه.

رحلاته ووفاته:

[6] -المصدر نفسه ،ج1/ 227.

تجول ابن حمادوش في العالم الإسلامي من تطوان إلى الحجاز ، فزار بلاد العرب و العجم و الترك ، ولم يصلنا منها إلا إشارات طفيفة ، و مما وصل إلينا من آثار رحلته هو رحلته إلى المغرب ، التي سماها (لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال).

و أما عن تاريخ وفاته فلم يبلغنا عنه شيء ، و يقال إنه تجاوز التسعين من عمره ، وأنه توفي في مكان وتاريخ مجهولين، ولكن أغلب الظن أن المنية وافته وهو بالمشرق بين سنوات (1197 هـ/1783 م، و1200 هـ/1786 م)[7].

المطلب الثاني: التعريف بكتابه (لسان المقال).

عنوان الكتاب و نسبته إلى المؤلف:

لم يحدد ابن حمادوش في مقدمة هذا الكتاب الغرض من تأليفه ولا الدافع إليه وخطته، ولا سبب اختيار العنوان ونحو ذلك مما جرت عليه عادة المؤلفين[8]، إلا أن الأكيد هو أن الكتاب حصيلة لعدة رحلات قام بها ابن حمادوش لعدة بلدان مشرقا ومغربا، حيث تنقل كثيرا منذ العشرينات من عمره، والتي ابتدأها بأداء فريضة الحج سنة [1125هـ/1713م]، والثانية سنة[1130 هـ/ 1718 م]، كما رحل إلى المغرب الأقصى في عدة مناسبات، منها رحلات سنة[1145 هـ/ 1732 م]، وسنة[1156 هـ/ 1743 م]، سجل فيها ملاحظاته وإجازاته وأحكامه ومشاهداته في كتاب رحلة ، والذي قال عنه ابن سودة: أنه يقع في مجلدين، أطال فيه في وصف المغرب، وبلغني أن منها نسخة بالخزانة الكتانية بفاس.[9]

و الكتاب الموجود اليوم يمثل الجزء الثاني من الرحلة ، وهناك جزء أول منها مفقود ، حيث يؤكد ابن حمادوش – نفسه– في هذا الكتاب أنه قد انتهى من الجزء الأول.

و عنوان الكتاب هو"لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال" ، حيث لم يختلف من نسب هذا الكتاب لعبد الرزاق ابن حمادوش، أو استشهد به في ذكره بهذا الاسم، واسم الكتاب ذائع ذكره عند أصحاب التراجم في إسنادهم إليه واستشهادهم به، ومشهور في نسبته إلى مؤلفه "ابن حمادوش" رغم أن هذا العنوان لم يرد ذكره في في

---

[7] -عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط7، 1994، ج580/3.

– أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة"ابن حمادوش الجزائري"، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1982 ،ص13.

[8] –أبو القاسم سعد الله، الرحلة لابن حمادوش، ص13.

[9] – عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418 هـ/ 1997 م،ص 248.

متن الكتاب ، و إنما أضيف في الحاشية اليسرى من النص ، وكتب هكذا (لسان المقال في النبأ عن النسب و الحال و الآل)[10]، بينما نجد المؤلف نفسه استعمل كلمة (الرحلة) سواء بالنسبة للجزء الأول المفقود أو الجزء الثاني المطبوع ، وهو ينسبها إلى نفسه فيقول (رحلتي) ، ولكن لم نجده ولو مرة واحدة قد ذكر هذا العنوان (لسان المقال) في ثنايا الكتاب.[11]

وحتى تسمية الكتاب بـ(الرحلة) ففيه تجوز، لأن الكتاب فيه جزء قليل تحدث فيه عن رحلته إلى المغرب، أما بقية الكتاب وهو الغالب فهو عبارة عن يوميات و مذكرات المؤلف عندما كان في الجزائر (قراءاته، حياته، أخبار الولاة، بعض العادات الاجتماعية ، مؤلفاته ...ونحو ذلك)، ومع ذلك فإن المؤلف نفسه هو الذي استعمل كلمة الرحلة.[12]

ومهما يكن فإن كتاب الرحلة"لسان المقال..." ينسب لابن حمادوش، والعبارات التالية التي يوردها تدل على ذلك، ومنها قوله:"وفي يوم الخميس ثالث وعشرين رمضان، موافق ثامن عشر أكتوبر، تممت الجزء الأول من هذا التأليف"، وقوله أيضا: "وكتبت هذا الخميس ثاني وثالث جمادى الأولى عام 1160 هـ موافق آخر أفريل وأول يوم من مايو عام 1747 م رزقنا الله الهدى فيما تبقى، وسامح وعفى فيما مضى. وتبدأ حوادث الرحلة بتاريخ محدد وهو 1156 هـ/ 1743 م".[13]

ومما يؤكد صحة نسبة الكتاب لابن حمادوش نقل بعض المؤرخين عنه، كعبد الحي الكتاني الذي نقل ما احتوت عليه الرحلة على بعض الإجازات والأسانيد، كما يؤكد صحة نسبته إليه أيضا اهتمام محمد داود صاحب كتاب "تاريخ تطوان"بهذه الرحلة ، لأن ابن حمادوش أورد أخبارا هامة عن تطوان فيها ، بالإضافة إلى العديد من الإشارات التي وردت في متن الرحلة والتي تثبت نسبة كتاب "الرحلة" إلى مؤلفها ببعض التواريخ أو بذكر أحداث

---

[10] –قال أبو القاسم سعد الله :(الكلمة الأخيرة غير واضحة في الرسم ، وقد أثبتناها (الآل) لمناسبة معناها إلى ما قبله، وممن الممكن قراءة رسمها المال ، وبه أخذ محمد بن داود في تاريخ تطوان ، ويمكن قراءة الكلمة أيضا الحال)
أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج229/1.
و الملاحظ أن أبا القاسم اضطرب في إثبات الكلمة الأخيرة ، ففي تحقيقه للرحلة ذكر أن العنوان المكتوب على الحاشية هو بكلمة (الحال) و ليس (الآل) كما يقول في هذا النص، و الذي ضبطها بالآل ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

[11] –أبو القاسم سعد الله ، الرحلة لابن حمادوش ، ص 18.
–أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر، ج229/1.

[12] –أبو القاسم سعد الله، الرحلة لابن حمادوش، ص18.

[13] –الرحلة لابن حمادوش، ص124.

دالة على الرحلة نفسها، ومن ذلك مثلا تاريخ خروج ابن حمادوش من الجزائر، ودخوله مدينة تطوان بالمغرب الأقصى، وعن ذلك يقول: "وفي هذه الساعة كنا على ظهر البحر قريبا من غرناطة، وكان عاشر يوم خروجنا من الجزائر" وهو ما يوافق تاريخ 1156 هـ 1743 /م".[14]

موضوعات الكتاب:

تحتوي رحلة ابن حمادوش على موضوعات كثيرة غير مترابطة، في التوحيد و التصوف و الرياضيات و القصص و الأسانيد ...ونحو ذلك ، بعضها كانت من إنشاء المؤلف ، وبعضها كان من منقولاته[15]، تفتقر إلى وحدة الموضوع والترابط العضوي، فهي كشكول و خليط من الحوادث والأفكار والنقول، في شكل مذكرات أو يوميات كان المؤلف يسجل فيها الأحداث و المشاهدات بصيغة الماضي في غالب الأحيان ، مليئة بالاستطراد الثقيل، بمعلومات غير منسقة، ولا يجمعها إلى بعضها من حيث المنهج سوى الترتيب الزمني، ذلك أن المؤلف يسير على طريقة الحوليات أو السنوات التي يرتب من خلالها الأحداث المنتهية ليبدأ في ذكر أحداث سنة جديدة، فرتبها على السنوات و الشهور و الأيام.

ويمكن تقسيم المحتوى إلى ثلاثة أقسام:[16]

أ-قسم المغرب (من الصفحة 2-75) وهذا القسم هو الذي يصح تسميته بالرحلة.

ب-قسم تحدث فيه المؤلف عن نفسه في الجزائر: وهو عبارة عن مذكرات و حوادث يومية ، عن قراءاته و ملاحظاته و نشاطه ، ترد فيه أخبار مفرقة ضمن قصص و استطرادات.

ج-قسم يتضمن نقولات كثيرة عن كتب ووثائق المتقدمين و المعاصرين، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج، و الأسانيد ، و الإجازات، و القصص العامة.

منهجه في الكتاب:[17]

---

[14] -المصدر نفسه ، ص30.

[15] -ابو القاسم سعد الله، الرحلة لابن حمادوش، ص19-20.

[16] -أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج229/1.

[17] -ينظر : الرحلة لابن حمادوش، تحقيق: أبو القاسم سعد الله،ص19-23.

-أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله،ج226/1-232.

إن المنهج الذي سار عليه ابن حمادوش جعل عمله غير منسجم و غير متماسك ، حيث تشكو الرحلة من عدم الترابط بين أجزائها و افتقارها للوحدة الموضوعية، ذلك أن طريقة عرض الحوادث كثيرا ما يتخللها الانتقال و الاستطراد ، ثم العودة إلى الموضوع الرئيسي، و يظهر ذلك مثلا أثناء إيراد ابن حمادوش لطريقة قراءة صحيح البخاري في الجزائر تحت عنوان "العودة إلى قراءة البخاري"، فيطرح بعض المعالم الزمانية والموضوعاتية بقوله: "وفي يوم السبت وقفنا على كتاب القدر...وفي يوم الأحد وقفنا على باب من أجرا أمر الأمصار على ما يتعارفون، وفي يوم الاثنين وقفنا على كتاب الاستقراض وأداء الديون"، يتخلل ذلك عنوانا لحكاية العنقاء مع سيدنا سليمان!.

أما أسلوبه اللغوي في الرحلة فهو سهل وبسيط جدا غير مسجوع ، ما عدا في المقامات المشار إليها، و رغم أن عباراته فصيحة، فإنه كثيرا ما يسوق الجملة سوقا عاميا لا يخضع لقواعد الإعراب.

و يستعمل ابن حمادوش في رحلته التاريخ الإسلامي الهجري، وفي معظم الأحيان يذكر معه التاريخ الميلادي الشرقي أو الفلاحي، وأحيانا يذكر أيضا التاريخ الإسكندري، ويستعمل كلمة عجمي للتاريخ المسيحي، وعن استعمال هذه التواريخ يذكر التوضيح التالي: "وفي يوم الجمعة سادس وعشرين ذي القعدة ابتدأت تأليفا في علم الفلك، جمعت فيه غريب ما أتعلم، فمنها سبعة تواريخ فيه كلها تعلمتها: العربي والمسيحي والإسكندري، كنت تعلمتها قبله، (وهي التي يستعمله في كتابه الرحلة)، وزدت فيه الفارسي والملكي والقبطي والعبري"[18]، أما العبارة التالية فهي أصدق دليل على استعمال هذه التواريخ والتي يقول فيها:"الجزء الثاني من رحلته(لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال) مبدؤه من أول ليلة الاثنين فاتح عام 1156 عربية الموافق رابع عشر فبراير ثاني شهور سنة 1743 مسيحية، وخامس شهور سنة 2054 أسكندرية".[19]

ويجهد المؤلف نفسه بالدقة و الأمانة في النقل، فإذا أعوزه ذلك يذكر: هكذا وجدته مقيدا، و إذا نقل أو نسي العبارة المنقولة قال: هذا ما تعلق بذهني و إن كان عبرت بعابرة غير عبارة المؤلف، و إذا كان غير متأكد من خبر سمعه عن فلان سجل ذلك بأمانة قائل: ولم أدر كيف كتب و لا ما صنع ، و إنما بلغني.[20]

مصادره:

مصادر ابن حمادوش في هذه الرحلة نوعان:[21]

---

[18] -الرحلة لابن حمادوش، ص264.

[19] -المصدر نفسه ، ص29.

[20] -أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1/231-232.

[21] -المصدر نفسه،ج1/232.

أ-التجربة الشخصية: وهذا هو الغالب، ذلك أن أكثر ما روي من أحداث في رحلته ، كان قد شاهده عيانا أو عاشه، فالتطورات الاجتماعية و السياسية و العلمية التي تحدث عنها في المغرب و الجزائر، كان مصدرها بالدرجة الأولى التجربة الشخصية.

ب- النقل: وكان يأخذه بالمشافهة و السماع أو بالاعتماد على الوثائق المكتوبة، ومادامت رحلته متعددة الموضوعات و النقول، فلابد أن تكون مصادرها كثيرة و متنوعة، فقد أكثر النقل عن الرياضيين والفلكيين والأطباء كابن سينا وإقليدس والقلصادي، كما نقل عن الأدباء كأبي إسحاق التونسي، وعن المؤرخين مثل عبد الرحمن الحنبلي المقدسيُ، وقرأ لعلماء وصلحاء الجزائر كأحمد ساسي البوني، ونقل من كتب التفاسير كالكشاف والوسيط، ومن كتب الحديث كالموطأ ومسند أبي حنيفة، وصحيح البخاري، والسنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وكتب أخرى في التصوف والسيرة وبعض المعاجم.

لم يكتف ابن حمادوش بسرد مصادره التي اعتمد عليها، وإنما جاوز ذلك إلى الحكم على بعضها ونقدها نقدا علميا صحيحا، وأحيانا أخرى يعلق على المؤلف ويبين طريقته في التأليف، ومزايا مصنفاته، وتأثيره على المؤلفين الآخرين الذين جاؤوا بعده، كما يبين ما وصلت إليه بعض المؤلفات إلى مرتبة عالية، ودرجة رفيعة من الكمال، مثل المصنفات الجليلة للبيروني، والتي قال في حقها: "وبالجملة لم يكن في نظرائه في زمانه وبعده إلى هذه الغاية أحذق منه بعلم الفلك، ولا أعرف بدقيقه وجليله" وقوله عن مصنفات الفارابي: "فجاءت كتبه المنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية الغاية الكافية"[22].

ومن هنا نرى كيف أن ابن حمادوش كان حريصا على عرض مصادره وتحليلها وبيان قيمتها الموضوعية، والدلالة على فضل أصحابها وبيان منزلتهم من العلم.

القيمة العلمية للكتاب:

تظهر القيمة العلمية لهذه الرحلة من خلال اهتمام علماء المسلمين بها، فقد اعتمد عليها الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس) ، ومحمد بن داود في كتابه (تاريخ تطوان)، لما فيها من أخبار سياسية و دينية و اجتماعية ، كما اهتم بها علماء أوربيون لما فيها من آثار علمية على الخصوص، و يمكن بيان قيمتها فيما يلي:[23]

-أنها جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي، كتبت في عهد طالما رمي بالجمود و التخلف.

---

[22] -الرحلة لابن حمادوش، ص140.

[23] -أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج1/234-241.

-أبو القاسم سعد الله، الرحلة لابن حمادوش، ص24.

-تحفل بمعلومات قيمة عن عصر الكاتب سياسيا و فكريا و اجتماعيا ، و عن معاصريه: أفكارهم و أخلاقهم.

-مصدر هام لحياة المؤلف نفسه، فهي مرآة حياته و نشاطه وفكره.

-تضم وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي و الأدبي و الديني.

-نادرة في نوعها، وهو فن الرحلة ، إذ لم يبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني، حيث يجد فيها الباحث مادة ثرية و مصدرا لا غنى عنه لدراسة الحياة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الجزائري في القرن الثامن عشر، فقد تحدث فيها صاحبها عن العادات و التقاليد الجزائرية في هذا العهد، مثل: الاحتفال بالمولد النبوي، ختم صحيح البخاري، و تحدث عن الزواج، ونوع الصداق، و الملابس في الأفراح...، وهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية هي التي ما يزال يفتقدها الباحثون في تاريخ الجزائر.

كما تضم الرحلة بالإضافة إلى ذلك مادة كبيرة من: أسماء الأماكن، بعض التراكيب العامية، أخبار العلماء الذين لا نجد عن حياتهم سوى النزر اليسير كابن عمار و ابن ميمون....، كما أن العقود و الأسانيد و الإجازات التي أوردها فيها مصدر كبير لدراسة الأدب و التاريخ و تراجم الرجال.

المبحث الثاني: مجالس سماع البخاري و ختماته في الجزائر: تاريخها، و تقاليدها ،و أشهر أعلامها:

لقد بلغ صحيح البخاري منزلة كبرى ومقاما لدى الجزائريين لم يبلغه كتاب غير القرآن الكريم، وفاقت عنايتهم به كل عناية ، فهو الكتاب الذي كان متداولا لديهم أكثر من غيره، ولعله قد بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة، فكتبوا عليه الشروح و الحواشي ، و تدارسوه للبركة و الحفظ، و استعملوه في المناسبات الدينية و الحربية،و بالجملة فإن مكانة صحيح البخاري في الحياة الدينية و الاجتماعية في الجزائر مكانة عظيمة ، حتى إنه كاد ينافس المصحف الشريف[24].

وللجزائريين مع قراءة صحيح البخاري و ختمه تاريخ و تقاليد خاصة توارثها العلماء في مجالسهم، اندثرت معظم معالمها ، وبقيت بعض آثارها لائحة كالأطلال تنتظر من ينعشها ، ويمدها بنفس جديد، فقد تعددت عندهم المناسبات التي يختم فيها صحيح البخاري ، و يمكن إيجازها فيما يلي:

[24] -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 1998م،ج2/25-26.

المطلب الأول: الختمات العلمية لصحيح البخاري.

إن الختمات العلمية للكتب من العادات المحمودة ، و السنن الكريمة المعهودة التي حفظها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفتها مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلس حافل يسمى بـ(يوم الختمة) ، يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، و يختم فيه الكتاب الذي درسه لطلبته و تلاميذه ، حيث يستعد لهذه الختمة و يجتهد في الإعداد لها ، في حضور العلماء و الكبار و الملوك و الأمراء إلى جانب الطلبة.[25]

وإذا كانت الختمات العلمية عرفت في العالم الإسلامي كله بالنسبة لسائر العلوم ، فإن المغاربة اشتهروا و تميزوا بالختمة العلمية التي تتعلق بصحيح البخاري ، كمظهر فريد و متميز يدل على مدى العناية و الأهمية الكبيرة التي أولاها المغاربة لصحيح الإمام البخاري.

و المقصود بالختمات العلمية : ذلك المجلس الحافل الذي يعقده العالم أو الشيخ بمناسبة انتهائه من إقراء صحيح البخاري و مدراسته مع طلبته قراءة استيعاب و تمحيص و دراية ، حيث جرت العادة عند المغاربة عموما أن يعقد الشيوخ و المحدثون هذه المجالس الختمية عند الانتهاء من سرد الصحيح و تدريسه و شرحه ، و يجتهدون في الإعداد لها لما يحاط بها من هالة في حضور العلماء و الشيوخ و الأمراء، ويكون موضوع المجلس: شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح ، ويقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية و في مقدمتها الكتاب و السنة ، و قد يؤرخ لتدوينها ، ثم يتحدث عن صاحب الصحيح ، ترجمته و حياته ، و يعرف بالجامع الصحيح و كيفية تأليفه ، ثم يتحدث عن مناسبة الحديث وعن سنده ومتنه شرحا مستفيضا ثم يختم المجلس بنوادر و أدعية و أشعار.[26]

ولا يعرف تاريخ لبداية الختمات العلمية لصحيح البخاري في الجزائر، لكن الذي يظهر لي –و الله أعلم– أن ذلك كان مع عصر الدولة الموحدية ، حيث كان الاهتمام و العناية بصحيح البخاري ظاهرة بارزة في عهدهم سواء من طرف الخلفاء و الأمراء ، أو من طرف العلماء في المجالس العلمية العامة و الخاصة ، و كان أغلب خلفاء الموحدين و أمرائهم من حفاظ صحيح البخاري، و أصبح العلم في عهدهم مقصورا على الحديث وحده ، فله المكانة الكبرى و المزية العظمى دون بقية الفنون و العلوم، وبرزت في عهدهم ظاهرة المجالس العلمية ، وكانت

---

[25] -يوسف الكتاني ، مدرسة البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت ، لبنان، د,ط، د,ت، ج634/2.

[26] –المصدر نفسه ، ج637/2.

لهم مجالس خاصة بصحيح البخاري سماعا و دراسة ، وبخاصة في أيام المأمون ، الذي قال عنه صاحب الاستقصا:(ولم يزل أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري و الموطأ و سنن أبي داود)[27].

ومن هذه المجالس الجزائرية في مدارسة البخاري ، مجلس ابن مرزوق الجد (ت 780هـ) الذي قال عنه ابن قنفد(ت810هـ) في وفياته:(كان له طريق واضح في الحديث و لقي أعلاما من الناس و أسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة ، و مجلسه مجلس جمال و لباقة معاملة).[28]

ومن هذه المجالس أيضا مجالس ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) في عهد السلطان أبي الحسن المريني ، حيث ذكر في كتابه (المسند الصحيح الحسن) أن أكثر الكتب سماعا و مدارسة في مجالس أبي الحسن المريني هو الجامع الصحيح للبخاري ، و أنه هو نفسه –أي ابن مرزوق– قرأه بين يديه مرات ، وفي ذلك يقول: وكان يستكثر من سماع جامع البخاري ، قرأته عليه مرات).[29]

و أما في العهد العثماني فقد ذكر ابن زاكور المغربي(ت1120هـ) في رحلته أن من الكتب التي كانت تدرس صحيح البخاري ، و أن ختم الكتاب يكون فرصة احتفال كبير ، تلقى فيه الأشعار و تعمه البركات ، ويغادر بعد ذلك عدد من الطلبة الجزائر راجعين إلى بلدهم [30]، وذكر من العماء الذين كان لهم مجلس لإملاء البخاري الشيخ سعيد قدورة الجزائري (ت1066هـ) فيقول: سمعت من إملائه في مجلسه الخطير ، جملة وافية من الجامع الصغير ، و أبوابا من صحيح البخاري، يحمد مواردها المدلج و الساري، سماع دراية و تحقيق رواية).[31]

ومن الختمات العلمية الجزائرية في العهد العثماني لصحيح البخاري ختمة الشيخ أحمد المقري(ت 1041هـ) وذلك في الجامع الأموي بدمشق أثناء درس كان يلقيه بعد صلاة الصبح ، فلما كثر الناس حوله خرج إلى صحن

---

[27] –أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956، ج2/215.

[28] –ابن قنفد القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ،لبنان، ط4، 1403هـ/1983م، ص374.

[29] –ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق:ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص 271.

[30] –مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص33-34.

[31] –ابن زاكور المغربي، نشر أزاهر البساتين، تحقيق :محمد ضيف و محفوظ بوكراع، دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الحراش، الجزائر، 2011،ص70.

الجامع ، وكان يحضر درسه غالب أعيان دمشق و جميع الطلبة ، وكان يوم ختم البخاري في السابع و العشرين من رمضان سنة 1037هـ، وكان يوما حافلا جدا حضره الألوف من الناس، وأتي للمقري بكرسي الوعظ فصعد عليه و تكلم بكلام في العقائد و الحديث لم يسمع نظيره أبدا ، وتكلم على ترجمة البخاري ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قريب الظهر، فلما نزل عن الكرسي انهالت الناس عليه تقبل يده و تعترف بفضله.[32]

ومنها أيضا في العصر الحديث ختمة الأمير عبد القادر الجزائري ، حيث كان الأمير معتنيا أيضا بصحيح البخاري، وكان تدريسه له في المدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية في سوريا ، وكان يدرس الحديث رواية و دراية بحضور جمع من العلماء بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، و قد ختم البخاري ، و أقيم لذلك حفل ضخم ، وزعت فيه الإجازات العلمية ، و أنشدت فيه القصائد.[33]

وهكذا حافظ الجزائريون طوال تاريخهم على سنة إسماع البخاري و قراءته ، وكان ختمه حدثا عظيما وموسما تشد إليه الرحال من كل مكان ، حتى أنه يؤرخ به للأحداث الكبرى ، فقد ذكر أبوراس الناصري في عجائب الأسفار ما نصه:(مات الشيخ محمد أقدار التوجيني ، –دفين أرض مينا –، قرب البطحاء سنة خمس و ستين و ألف (1065هـ) يوم الجمعة ، ووافق ذلك ختمة البخاري).

وفي هذه الرواية أيضا ما يدل –كما يقول المهدي البوعبدلي– على أن صحيح البخاري كان يدرس في الجزائر في القرى النائية ، فضلا عن المدن [34]، وحتى مع تدهور الحالة العلمية و الثقافية أواخر العهد العثماني فقد تشبث الجزائريون بهذه السنة ، ولو أدى ذلك إلى أن يقرأ الشيخ الصحيح لوحده ، فقد ذكر الورثلاني(ت1193هـ) في رحلته عند دخوله مدينة ورقلة ، قال: و أخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري وحده)[35].

المطلب الثاني: الختمات في النوازل و الأزمات.

ومن المناسبات التي كان يختم فيها الجزائريون قراءة صحيح البخاري عند نزول المصائب و المحن و البلايا في الأنفس و الأموال و الأولاد و البلاد، وذلك كاشتداد المرض أو نزول الوباء بأرض أو بلاد أو طول قحط ، فإنهم يلجؤون إلى عقد مجالس لختم البخاري ، تبركا به لدفع المكروه من باب التوسل بالأعمال الصالحة ، فيجتمع

---

[32] –محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر،1349هـ/،ج1/300-301.

[33] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ج46/7.

[34] –المهدي البوعبدلي، تحقيق الثغر الجماني، ص32.

[35] -الورثلاني، نزهة الأنظار، تحقيق:محمد بن شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، ص92,د.ط، د,ت.

العلماء و الطلبة و الصالحون في مسجد من المساجد أو زاوية من الزوايا و يوزعون الصحيح لسرده و قراءته ثم يعينون يوما لختمه، و يختار للختم رئيس العلماء أو صالح من الصلحاء ، وتوزع الهبات و الصدقات ، وقد استمر العمل على هذا جيلا بعد جيل اعتقادا ببركة هذا الصحيح.

وقد تواترت الشهادات من أهل العلم من الجزائريين وغيرهم أن قراءة البخاري من أسباب زوال الكروب و الشدائد، فيقول ابن مرزوق الحفيد:(وهو الكتاب المتفق على صحته و فضله المجرب بتفريج الشدائد و الأزمات عند قراءته).[36]

ويقول أيضا:(وهو الكتاب الذي لا نظير له ، أحد الكتب الإسلامية المعتمدة ، وهو أصحها صحيحا ، و أكثرها فوائد ، و أعظمها نفعا ، و أشهرها بركة ، وقد صح و ثبت استفاضة و تجربة ، إذا قرئ لشدة رجاء تفريجها يفرجها الله عزوجل، عرف ذلك في المشارق و المغارب ، وفي ذلك يقول أبو الحسن علي بن المظفر:

صحيح البخاري واظب على تحفظه واروه في المشاهد

فذاك المجرب ترياقه لدفع سموم أفاعي الشدائد[37]

ويقول ابن سحنون الراشدي في الثغر الجماني يصف صحيح البخاري بقوله:(هو الكتاب الذي يستسقى به الغيث، وتدفع به الشدائد ، ويطلب بقراءته تفريج الكرب، و تستمنح به المقاصد و الإرب).[38]

كما نقل الإمام القسطلاني (ت923هـ) في مقدمة شرحه على البخاري، عن الشيخ أبي محمد بن عبد الله ابن أبي جمرة(ت599هـ)، قال لي من العارفين عمن لقيت من السادة المقر لهم: أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت، و لا ركب به مركب فغرقت)، ونقل عن الحافظ عماد الدين بن كثير قوله:(وكتاب البخاري الصحيح يستسقى بقراءته الغمام).[39]

قال العلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذي :قد أجاز كثير من أهل العلم في هذا الزمان قراءة صحيح البخاري وختمه لشفاء الأمراض ودفع المصائب وحصول المقاصد، فيجتمعون ويقرأ بعضهم الجزء

---

[36] –المسند الصحيح الحسن ، مصدر سابق، ص 271.

[37] –المصدر نفسه ، ص275.

[38] –الثغر الجماني في فتح ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة ، الجزائر، ط1، 2013، ص471.

[39] –إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1، 1996، ج42/1.

الأول منه مثلا وبعضهم الجزء الثاني وبعضهم الثالث، وهكذا فيختمونه باجتماعهم ثم يدعون الله تعالى لشفاء مرضاهم أو لدفع مصائبهم أو لحصول مقاصدهم. استدلوا على ذلك بأن قراءته بتمامه رقية لشفاء المرضى ودفع المصائب وحصول المقاصد. والرقية بما ليس فيه شرك ولا كلمة لا يفهم معناها جائزة بالاتفاق.[40]

ونقل صديق حسن خان في كتاب الحطة: قال الشيخ عبد الحق الدهلوي في أشعة اللمعات: قرأ كثير من المشايخ والعلماء والثقات صحيح البخاري،لحصول المرادات، وكفاية المهمات، وقضاء الحاجات، ودفع البليات، وكشف الكربات، وصحة الأمراض، وشفاء المرضى، عند المضايق والشدائد، فحصل مرادهم وفازوا بمقاصدهم ووجدوه كالترياق مجربا، وقد بلغ هذا المعنى عند علماء الحديث مرتبة الشهرة والاستفاضة، ونقل السيد جمال الدين المحدث عن أستاذه السيد أصيل الدين أنه قال: قرأت صحيح البخاري نحو عشرين ومائة مرة في الوقائع والمهمات لنفسي وللناس الآخرين، فبأي نية قرأته حصل المقصود وكفى المطلوب.[41]

ومن المناسبات التي كان يختم فيها الجزائريون قراءة صحيح البخاري في حالة الحروب ، عند خروج الجيش للجهاد أو في حالة حصارهم للعدو حتى يأتيهم الله بالفرج، فكان الحكام يلزمون العلماء في حروبهم أن يعقدوا حلقات يتلى فيها صحيح البخاري ليلا و نهارا، و يختم الكتاب بالدعاء بالنصر للمسلمين، و الأخبار في ذلك كثيرة جدا، وردت في كتب المؤرخين الجزائريين ، كما تضمنت مصادر الحملات العسكرية من الأجانب وصف لجوء الجزائريين لقراءة صحيح البخاري في المساجد أو بين يدي المقاتلين[42] ، ومن هذه الأخبار:

أ-ما ذكره أحمد الشريف الزهار(ت1246هـ) في مذكراته : أن الجزائريين قرأوا صحيح البخاري و ختموه و تضرعوا إلى الله عندما رأووا حجم الحملة الإسبانية سنة 1188هـ و التي غطت البحر ،فيصف ذلك بقوله: ولما قدم الإصبانيول ، و شاهد الناس عمارته ، بحيث غاب البحر لكثرة المراكب ، دهش الناس وقالوا: مالنا منجى و لا ملجأ إلا الله ، وهذا شيء لا نقدر عليه ، و ما لنا إلا الصبر و الدعاء ، فقرأوا البخاري و ختموه ، و تضرعوا لله، ثم صبروا و ثبتوا حتى نصرهم الله).[43]

---

[40] -تحفة الأحوذي ،تحقيق: عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1410هـ/1990م، ج83/1.

[41] -الحطة في ذكر الصحاح الستة، تحقيق: علي حسن، دار الجيل ، بيروت، ص314.

[42] -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج26/2.

[43] -مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق: توفيق مدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1974، ص27.

ب–أن المجاهدين الفاتحين الذين كانوا يحاصرون وهران سنة 1205هـ لتحريرها من الإسبان ، قاموا بتلاوة صحيح البخاري إلى أن ختموه بأمر من باي معسكر (محمد بن عثمان الكبير) وكان ذلك في مواضع كثيرة تتبعها ابن سحنون الراشدي في كتابه (الثغر الجماني)، حيث لم ينقطع المجاهدون عن قراءة صحيح البخاري و الدعاء بالنصر و التمكين إلى غاية تحريرهم مدينة وهران ، ومن هذه المواضع التي ختم فيها الصحيح :

الأول: عند عقد راية الجيش ، فيقول: وعندما عقد الباي محمد بن عثمان الكبير الراية للجيش، في طريقه إلى فتح وهران سواء بجامع معسكر الكبير، أو بمكان رباط الطلبة بوهران، ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة ، و صحيح البخاري ، وصحبوا ذلك بالتهليل و التكبير ، و الصلاة على البشير النذير ، بالدعاء و النصر و التمكين.[44]

ثم وصف الهيئة التي خرج عليها الأمير في الجيش وهو يحمل صحيح البخاري في حرير مغشى بلباس الكعبة المشرفة، فيقول: ثم ارتحل الأمير –أدام الله عزه– من سيق يوم الجمعة السابع عشر من الشهر المذكور، بعد أن حمل صحيح البخاري في ربعة رائعة بين صندوقين ملآنين بالكتب على بغلة فارهة ، وغطى الربعة بسجف حرير مغشى بلباس الكعبة المشرفة ، موشى بأحسن توشية ، مكتوب بكلمة الإخلاص ، وعين له راية رائقة تحمل أمام قائد البغلة، و أمر العلماء أن يسيروا وراءه يقرأون البردة و سائر الأمداح النبوية).[45]

الثاني: عند نزول الجيش، فيقول: ثم ارتحل يوم الأحد بعده على الهيئة الموصوفة آنفا ، فنزل بمرأى من ضريح (سيدي الشحمي) ، و أمر فبني كاليوم الذي قبله للعلماء خباء و أفرشة جيدة و الزرابي المثمنة ، ووضع فيه صحيح البخاري و الكتب التي معه ، و جلس العلماء يقرأون صحيح البخاري و الأمداح النبوية صباحا و مساء).[46]

الثالث: عند محاصرة الإسبان، فيقول: فلما انبهم الأمر ، و انسدت أبواب الفرج ، وفرج الفتح من حيث كان يرجى انفتاحها ، ولم يبق معول إلا على المدافع ، وهي و إن كانت تهلك الجنود فلا تفتح الحصون، أمر الأمير لا يزال أمره سديدا ، ورواق الستر عليه مديدا بقراءة صحيح البخاري بالمحلة المنصورة، لكون قراءته مجربة لدفع

---

[44] –الثغر الجماني، مصدر سابق، ص240.

[45] –المصدر نفسه ، ص 474.

[46] –المصدر نفسه، 474.

الشدائد، وتفريج الكرب، وبنى للعلماء خباء يجتمعون فيه لقراءته مناوبة ، فتداولناه صباحا و مساء، فختم في عشرة أيام، ولم يمض يومان من قراءته حتى صارت أبواب الفرج تنفتح بابا بابا).[47]

ثم يصف دخول الأمير إلى وهران في نفس الهيئة التي خرج بها إليها يتقدمه صحيح البخاري، فيقول: وكان أول من دخلها بعد الذين وضعوا الأعلام و عمروا المدافع و بنوا مضرب الأمير، العلماء يقدمهم صحيح البخاري ، ثم تلاهم الأمير في جنده الجرار .[48]، وأنشد في ذلك ابن سحنون هذه الأبيات:

وحل في أرجائها ليث الوغى أفضل من جاء بكل مبتغى

مقدما لمسند البخاري وكل علم من الأخيار[49]

ج–ماورد من الأخبار في حصار الأمير عبد القادر لتلمسان ، فقد ذكر صاحب تحفة الزائر ما نصه: وكانت مدة الحصار عليها تسعة أشهر ، وختم الأمير في هذه المدة قراءة صحيح البخاري أربع مرات ، وقد أخبرني ابن خالي السيد محمد أبو طالب أنه رأى نسخة من البخاري في مجلد واحد عند الشيخ محمد القلي قاضي بجاية كانت عند الأمير مكتوبا بآخرها بخط يده: حتمت البخاري بهذه النسخة أربع ختمات و أنا محاصر تلمسان عجل الله بفتحها).[50]

المطلب الثالث: الختمة الرمضانية.

ومن المناسبات التي كان الجزائريون يختمون فيها قراءة صحيح البخاري ، قراءته و ختمه بمناسبة شهر رمضان ، حيث كان من جملة العادات الرمضانية في الجزائر خلال العهد العثماني الحرص على تلاوة صحيح البخاري في الجوامع الكبيرة ، بحضور العلماء و الكبراء و العامة في جو احتفالي تسوده البهجة و السرور.

وقد حافظت المدن و الحواضر الجزائرية في العهد العثماني على سنة إسماع البخاري وقراءته في كل سنة في المساجد الكبيرة بالمدينة ، حيث تفتح قراءة البخاري في عدة أماكن في شهر رجب ، و يختم بعد زوال السادس و العشرين

---

[47] –المصدر نفسه ، 309.

[48] -المصدر نفسه ص478.

[49] –المصدر نفسه ص 47.

[50] –محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، المطبعة التجارية ، الإسكندرية، مصر، 1953،ص167.

من رمضان ليلة القدر، في مجالس يحضرها العلماء و عامة الناس ، تتلى فيها أحاديث البخاري ، بطريقة محاطة بسياج من الأدب، وفي زمن مخصوص ، و بتقاليد خاصة ، كانت إلى عهد قريب ما تزال موجودة ، ثم اندثر رسمها، ومن العادات و التقاليد التي سار عليها الجزائريون في عقدهم لحلقات تلاوة البخاري :[51]

-أنهم كانوا يفتتحون قراءته في يوم الأحد من الأسبوع الأول من شهر رجب و يختمونه في ليلة القدر من شهر رمضان المعظم.

-وكانوا يجزئون الكتاب على عشرة أجزاء معلومة يقرأون في كل أسبوع جزءا مخصوصا، و في بايلك الغرب يجزئونه إلى خمسة و ثلاثين سفرا ، يقرأ سفر في كل يوم.

-وكانوا يرتلونه على طريقة قراءة المصحف الشريف، فترنم الأحاديث بصوت رخيم.

-و كانوا يختارون أندى الناس صوتا ، و أجهرهم و أفصحهم قراءة، فكان يميز من كان له صوت جهوري سليم ، ومن كان صوته ضعيفا و غير فصيح .

-كان بعضهم يبالغ فيضيف إلى جو الدرس جوا آخر من البهجة و السرور برش ماء الورد على الحاضرين في نهاية الدرس.

-وكان لا يتولى إملاء الحديث إلا كبار العلماء من القضاة و أعيان الفقهاء ، وممن تولى قراءة صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة : عبد الرزاق ابن حمادوش(ت1197هـ)، محمد بن سيدي الهادي، و أحمد بن محمد العمالي(ت1290هـ)، و المفتي الحاج الزروق، و عبد الرحمن الزروق، وعبد الرحمن بن حفاف (كان حيا إلى 1213هـ) ، روى البخاري عن ابن عمار ، وكان يحضر مجلس البخاري بالعاصمة دراية ورواية ، ويتقاضى عن ذلك ريالا في كل شهر.[52]

ولم تكن هذه العادة تختص بالمسجد الكبير في العاصمة وحده ، بل دأب على عادة هذه الختمات البايات و الدايات العثمانيون ومنهم الباي محمد بن عثمان الكبير، حيث ذكر ابن سحنون الراشدي أنه كان يواظب على

---

[51] -ينظر: أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الثقافي للجزائر،ج2/25-26.

-نجاح سعدون، الجزائريون و صيام شهر رمضان على ضوء الكتابات المحلية و الأجنبية خلال القرنين 18و19، مجلة العبر للدراسات التاريخية، المجلد3، العدد:02، سبتمبر 2022، ص197-198.

[52] -أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2/35.

سماع البخاري، وحضور مجالس إقرائه بين يديه ، وقد عقد مجلسا حافلا لختمه ، حيث يقول:(وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري ، و ذلك لأنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي و أعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخاري، وهي مجزأة على خمسة و ثلاثين سفرا في كل يوم سفر ، إلا يوم العيد و تالييه، فإذا كان يوم السابع من العيد ختم فيه صحيح البخاري ، و تهيأ له السلطان أحسن تهيء ، وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك أن القاضي يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ، و يتفاوض بعض الحاضرين، و يلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، و لا يزالون في المذاكرة ، فإذا تعالى النهار ختم المجلس، و ذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته، و من الغد يبتدئ سفرا آخر، هكذا و السلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة، وقد عين لجلوسه موضع).[53]

و الملاحظ أنه على خلاف مدينة الجزائر التي كان يختم فيها صحيح البخاري ليلة السابع و العشرين من رمضان، كانوا في بعض نواحي بايلك الغرب يبدأون التلاوة مع بداية رمضان ويختمون في اليوم السابع من العيد.

وقد اكتسى حفل ختم صحيح البخاري طابع الموسم ، حيث يتسابق الناس من سائر الأصقاع و النواحي إلى حضور ختمه ، تعبدا و تبركا و تكريما ، و بخاصة أن الختم يكون في ليلة القدر وهي ليلة عظيمة في تاريخ الإسلام و المسلمين ، لكونها ليلة تنزل القرآن على النبي الكريم، وليلة الخير و البركة و البر و التقوى.

فكان لهذا اليوم طابعه الخاص و نكهته، حيث يجتمع أعيان البلد و علماؤه و حكامه و عامة الشعب في المسجد، وكان الأطفال يستقبلون الوفود و يرشونهم بماء الورد، ، ويحيون ليلتهم بالصلاة و الذكر و يختتم المجلس بدعاء خاص(اللهم صل أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون).

وفي اليوم الموالي يفتتح مجلس الختم بعد صلاة الصبح بقراءة القرآن، وقراءة ترجمة الإمام البخاري ، وبيان فضل كتابه الصحيح، ثم يقوم عالم من أعيان العلماء بقراءة آخر حديث من هذا الكتاب وهو حديث(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) و يسترسل في شرحه و ذكر الأحكام المتعلقة به، و يعيد الجميع ذكر هذا التسبيح مائة مرة ، ثم يختم المجلس بالدعاء ، وقد جرت العادة أن تكون دعوات و ابتهالات مشهورة ، وصلوات على النبي الكريم مستمدة من الحديث الشريف، و من آثار العلماء و

---

[53] –الثغر الجماني، ص 115.

الصالحين، وقد يختلف أسلوب دعوات الختم حسب زمان الختم ووقته، وتبعا لمشرب الخاتم و نفسه، ثم يرش الحاضرون بماء الورد، وتوزع الحلويات بكل أنواعها على الحاضرين ، و يطعم الطعام ، و تنشد الأناشيد و المدائح النبوية[54]، ثم ينصرف الجميع إلى حاجته.[55]

وقد اندثرت هذه السنة الحميدة من مساجدنا أو تكاد فلا يعرف الآن مسجد بقيت فيه سوى بعض المساجد القليلة منها الجامع الكبير في العاصمة ، ومن الأعلام الذين كانوا يختمون البخاري فيه: الشيخ عبد الرحمن شيبان، و الشيخ بوعلام باقي، و الشيخ محمد الشارف، و عبد القادر بوقفطان، الشيخ البليدي، وعمر العاصمي[56]، وقد سعت الوزارة في السنوات الأخيرة إلى إحياء هذه السنة في كامل مساجد القطر الوطني.

المبحث الثالث: مجالس سماع البخاري و تقاليدها من خلال رحلة ابن حمادوش.

لقد أبدى ابن حمادوش في رحلته المسماة (لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال) اهتماما كبيرا بكافة أشكال العادات و التقاليد ، التي تبين و تبرز الجانب الاجتماعي للجزائريين ، حيث وقف عند العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية و الدينية .

ومن أبرز تلك العادات التي تركت أثرا واضحا في نفسه عادة (ختم صحيح البخاري) في شهر رمضان ، فقد خصص لها جزءا كبيرا في رحلته، فإن المتتبع لرحلة ابن حمادوش يرى عدة عناوين وصفحات أفردها المؤلف للحديث عن صحيح البخاري و طريقة سرده في الجزائر ، كما أنه بالاطلاع على موضوعات الكتاب و فهرسته نجد أن ابن حمادوش كرر كثيرا جملة (قراءة البخاري) وهذا تأكيد لأهميته و مكانته، فهو يعود إليه في كل مرة في رحلته.[57]

ونلخص حديث ابن حمادوش على مجالس ختم البخاري في العهد العثماني –باعتباره العصر الذي عاش فيه– على النحو التالي:

---

[54] -ابن سحنون، الثغر الجماني، ص180.

[55] –عبد الرحمن دويب، كيف تعامل الجزائريون مع صحيح البخاري، مقال على جريدة الشروق اليومي بتاريخ :2008/09/03، ص27.

[56] –شهادة الشيخ علي عية في مقال على موقع الجزيرة نت :ماسر تعلق الجزائريين بالبخاري في رمضان!
https://www.aljazeera.net/culture/2022/4/26/.

[57] –عبد الله موساوي، واقع الاحتفالات الدينية في الجزائر العثمانية على ضوء رحلة ابن حمادوش الجزائري، مجلة آفاق فكرية، المجلد:04، عدد خاص، 2018، ص 144.

أ–مجالس ختم البخاري في رمضان عادة سنوية:

فقد تحدث ابن حمادوش في هذه الرحلة عن ثلاثة ختمات ، الأولى كانت في رمضان سنة 1157هـ[58]، و الثانية كانت في رمضان 1158هـ[59]، و الثالثة كانت في رمضان 1159هـ[60]، وهو ما يؤكد محافظة الجزائريين على هذه السنة و بصفة منتظمة كل عام، ويؤكد أيضا على مدى عناية الجزائريين و اهتمامهم بصحيح البخاري.

ب–قراءة البخاري وظيفة رسمية في المسجد:

ومما يدل على عناية الجزائريين و أهمية مجالس قراءة البخاري عندهم ، أن السلطة العثمانية جعلت قراءة البخاري و إسماعه في شهر رمضان من الوظائف الرسمية في المساجد ، حيث يتقاضى القائمون على هذه الوظيفة أجورا و مرتبات، كما تثبت ذلك السجلات الرسمية الصادرة عن السلطات العثمانية، وموظفو المساجد كما ورد في هذه الوثائق ثلاثة أصناف:[61]

–موظفو السلك الديني و التعليمي: الأئمة، الخطباء، المدرسون، الحزابون، مؤدبو الصبيان...

–موظفو النظافة و الصيانة: الكناسون، الفراشون، المائضون، الشماعون....

–موظفو الإدارة: الكتاب و الخواجات.

فيقول ابن حمادوش في ذلك:(وفي تاسع شعبان أذن لي في أن أرجع إلى وظيفتي من حضور البخاري)[62]

قال الشيخ أبو القاسم سعد الله: وهي إحدى الوظائف الهامة في الجامع الكبير بالعاصمة[63]، وقال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: كان–ابن حمادوش– موظفا في منصب (حضور البخاري) وهي وظيفة بالمسجد يشتغل فيها صاحبها بقراءة صحيح البخاري وروايته للجمهور و يختم الكتاب في رمضان.[64]

---

[58] –الرحلة لابن حمادوش ، ص121.

[59] –المصدر نفسه، ص 217.

[60] –المصدر نفسه ، ص 257

[61] –محمد ميلودي، موظفو المساجد في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد:51، 2019، ص77–78.

[62] –ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص121.

[63] –الرحلة لابن حمادوش، ص121.

لكن الموجود في السجلات العثمانية هو منصب ووظيفة (قارئ صحيح البخاري) ، فلعل منصب (حضور البخاري) منصب آخر ، ومن ذلك ما ورد في بعض السجلات (السيد محمد الإفرنجي قارئ صحيح البخاري) و (قارئ البخاري سيدي أحمد)[65].

و أما المرتب الذي يتقاضاه قارئ البخاري فيختلف حسب الدرجة العلمية و طبيعة الوظيفة ، فنجد مثلا في السجلات العثمانية أن (قارئ البخاري: سيدي أحمد، في جامع : مقارن، سنة: 1229هـ ، يتقاضى: 24 ريالا)[66].

ج–مكان القراءة و الختم:

ذكر ابن حمادوش أن قراءة البخاري وختمه كانت في المسجد الكبير للعاصمة ، فيقول: وفي ثالث عشر رجب يوم الأحد ابتدأنا سرد البخاري و درايته في الجامع الكبير)[67]، لكن ذكر في موضع آخر أنه حضر ختم البخاري أيضا في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، حيث يقول:(وهذه عادة الجزائريين دائما ، فيذهب الناس إلى خارج باب الواد، عند قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي–نفعنا الله ببركته– ، فيحضرون ختم البخاري أيضا، على هذه الصفة ، و أنا حضرت الختم في الموضعين مع عامة المسلمين).[68]، فيظهر من هذا أن قراءة صحيح البخاري و ختمه كانت تتم في المساجد الأخرى أيضا كما يثبته هذا النص عنه ، وتثبته أيضا السجلات السابقة في بيان مرتبات الموظفين.

د–تاريخ بدء سرد البخاري و تاريخ ختمه:

جرت عادة الجزائريين أن قراءة البخاري و ختمه تكون في ثلاثة أشهر هي: رجب، وشعبان ، ورمضان ، حيث يكون بدء التلاوة في بداية رجب ، و يكون الختم ليلة القدر في السابع و العشرين من رمضان، وهو ما يؤكده ابن حمادوش في تأريخه لبداية الختمات و نهايتها.

---

[64] –تاريخ الجزائر العام، مصدر سابق، ج579/3.

[65] –محمد ميلودي، المصدر السابق، ص78–80.

[66] –المصدر نفسه ، ص80.

[67] –الرحلة لابن حمادوش، ص 257.

[68] –المصدر نفسه، ص127.

فيقول عن بداية ختمة سنة 1158هـ: وفي يوم الأحد حادي عشر رجب الموافق ثامن و عشرين يوليه ابتدأنا سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير)[69]، وعن ختمها يقول: وفي السبت ثامن وعشرين رمضان ، وقفنا على باب: ونضع الموازين القسط، وهو ختمنا البخاري)[70]، و يقول عن ختمة 1159هـ أن بدايتها كانت في 13 من رجب ، وختمت في السابع و العشرين من رمضان.[71]، و الملاحظ أن يوم البدء يكون دائما موافقا ليوم الأحد وهي العادة التي جرى عليها الجزائريون ، و أن الختم يكون دائما ليلة القدر لشرفها و فضلها ، لكن ذلك في الجزائر ، أما في بايلك الغرب فكانوا يبدأون القراءة في بداية رمضان و يختمون في اليوم السابع من العيد كما أشار إلى ذلك ابن سحنون الراشدي في الثغر الجماني.[72]

هـ–طريقة سرد البخاري:

جرت العادة في طريقة سرد البخاري أن ذلك يكون في شكل حلقة يجتمع فيها العلماء و الطلبة ، ويقوم المسمع بقراءة جزء منه بصوت عال ، حتى يتمكن جميع الحاضرين من سماعه وفهمه ، و كان العلماء يتناوبون على القراءة، ويحزبون البخاري إلى عشرة أجزاء يقرأ في كل أسبوع جزء منه و الأجزاء تقسم إلى أثمان يقرأ في كل يوم ثمن ، وفي وصف طريقة السرد هذه يقول ابن حمادوش:(وفي يوم السبت...حضرت سرده صباحا، فقرأ مماليه سيدي محمد ابن سيدي الهادي فضائل الصحابة حتى وقف على تزويج النبي–صلى الله عليه وسلم– خديجة، و ليس لدي الكتاب ، لأني لا أملك إلى الآن هذا الثمن الرابع)[73]

فإذا كان المملي غير فصيح أو لايحسن القراءة لسبب فإنه يؤخر ، ويقدم الفصيح وصاحب الصوت الجهوري ، وفي ذلك يقول:(ومن الغد غاب المملي المذكور ، وقرأ سيدي أحمد العمالي منه إلى غزوة الطائف، فلما رآه المفتي الحاج الزروق لم يحسن ، قرأ إلى حجة الوداع)[74]

كما ذكر ابن حمادوش أن قراءة البخاري كانت على نوعين:

---

[69] –الرحلة لابن حمادوش، ص217.

[70] –المصدر نفسه، 235.

[71] –المصدر نفسه، ص257، 263.

[72] –الثغر الجماني، مصدر سابق، ص197.

[73] –الرحلة لابن حمادوش، ص122.

[74] –المصدر نفسه

الأولى: قراءة سردية وهذه تكون في الفترة الصباحية.

الثاني: قراءة دراية ، وهي التي يكون فيها الدرس و الشرح لأحاديث من البخاري ، وتكون بعد صلاة الظهر

وفي ذلك يقول: وفي هذا اليوم ابتدأ الدراية بعد الظهر، فكان درسهم حديث البزاق في الثوب)[75]

و الذي نلاحظه هنا وجود اختلاف بين العادات المتبعة في المسجد الكبير و العادات المتبعة في بايلك الغرب حسب ما ذكره ابن سحنون الراشدي في أمور منها:[76]

-طريقة التحزيب: ففي العاصمة يقسم البخاري إلى عشرة أجزاء ، بينما في بايلك الغرب يقسمونه إلى خمسة و ثلاثين سفرا يقرأ كل يوم سفر.

-تاريخ البدء ونهايته: ففي العاصمة يكون البدء في رجب و الختم ليلة القدر ، أما في الغرب فيكون البدء في بداية رمضان و الختم في اليوم السابع من العيد،ولذلك ناسب تحزيبهم له إلى خمسة وثلاثين سفرا لأنه لا يقرأ يومي العيد.

-القارئ: الذي يتولى الإملاء في الجامع الكبير هو المملي، و المفتي يسمع و يصحح ، بينما في بايلك الغرب يتولى القاضي سرد البخاري ، فيقول الراشدي(وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك أن القاضي يتولى السرد بنفسه)[77].

ز-طريقة الاحتفالات بختم البخاري ليلة القدر:

ذكر ابن حمادوش أنه عند نهاية سرد البخاري وكان ذلك بعد الظهر من اليوم السادس و العشرين ، كان للجزائريين صلاة معهودة يختمون بهذا المجلس وهي:(اللهم صل أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون)، ويرش الخدم الحاضرين بماء الورد.

---

[75] -المصدر نفسه، 123.

[76] -الثغر الجماني ، ص115-116.

[77] -المصدر نفسه، ص115.

ثم تنطلق الاحتفالات الرسمية بختم البخاري و ليلة القدر ويكون ذلك بعد صلاة العصر ، حيث يشعلون الشموع و يخرج المؤذنون و المصلون ليطوفوا بها البلاد و في العودة يمرون بطريق أخرى ، و ينشد أحدهم و البقية يرفعون أصواتهم بالصلاة و السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، و يصف ذلك ابن حمادوش بقوله: وعادة متولي الجامع الكبير يفرغ قنطار شمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضر ما بين الثلاثة و الأربعة أرطال في كل واحدة، و يأتون بهم إلى دار المفتي أو الوكيل، أيهم يحب الظهور، فإذا صلى العصر ، أخرج ذلك المؤذنون أو غيرهم في أيديهم ويطوفوا بهم البلاد، وأقله إلى دار الإمارة، و يرجعون من طريق أخرى....)[78]، وعند عودتهم إلى المسجد يجعلون الشموع في أعواد ، ويشعلونها مع عدد كبير من قناديل القوارير.

ويواصل ابن حمادوش عرض طريقة الاحتفالات بقوله: ويحيون الليل كله إلى الفجر، فإذا قرب الفجر أوتروا ، وقرأوا ما تيسر من الفواتح ، ثم يصلون الفجر بغلس ، فإذا فرغوا من التسبيح بعد الصلوات ، قرأوا حزب الصبح و ما يتبع ذلك .

ثم يأتي موقد القناديل بأحد تلك الشمع [التي أوقدت بالأمس] فيضعها عند المحراب الذي يجلس فيه الإمام و خواصه ، فيفتح الإمام كتابه [صحيح البخاري] و يقرأ من باب : و نضع الموازين القسط، إلى آخر الختم، وهو [حديث] :(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)، فيعيد الجضور هذا التسبيح مائة مرة ، وفي هذه المدة يرش الحضور بماء الورد حتى يعمهم جميعا.

ثم يرفع الإمام يديه و يشرع في الدعاء المخصوص المعد لذلك وهو: الحمد لله حمد معترف بذنبه، ومستأنس بربه، جعل فاقته إليه، واعتمد في العفو عليه..ذنوبه تقلقه، روح قلبه بذكره، وطاش عقله من جرمه، لا يوجد في أحواله إلى قلقا، وطائر القلب فرقا، وخوفا من النار وفضيحة العار، وغضب الملك الجبار، إذا ميز الأخيار والأشرار، وجيء بالجنة والنار، وبدلت الأرض وانشقت السماوات، وتناثرت النجوم الزاهرات، وانتظر المحشورون ماذا يكون في ذلك اليوم، يوم وأي ويم، يوم يفزع من هوله المحسنون، ويغرق في بحاره المسيئون، في يوم تلاحقت أوجاله، وترادفت أهواله، ونادى المنادي: باسمك ندعي إلى الحساب، وإلى قراءة ما حصلته في ذلك الكتاب، وتقام بين يديه عاصيا، وتقدم إليه خاطيا، فإما مغفور لك، فصرت إلى الجنة مسرورا، وإما مسخوط عليك، فصرت إلى النار مأسورا، نعوذ بالله من النار ونسأله البعد منها، فأنك ملك كريم، جواد رحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

---

[78] -المصدر نفسه ، ص126.

وبعد الفراغ من الدعاء ، يقرأون من الفواتح ما تيسر ، ثم ينصرفون.[79]

وكان من عادتهم بعد الانصراف التوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، الذي تقام فيه ختمة أيضا ، يطلبون بذلك بركة المقام ،كما ذكر المصنف ، وأنه حضر فيه أيضا.[80]

بينما ذكر الراشدي أنه في بايلك الغرب يقام موسم عند الختم ، يطعم فيه الطعام ، وتنشد الأناشيد و المدائح النبوية فيقول عن السلطان محمد باي:(هذا وكان حين ختم صحيح البخاري يطعم الطعام ، وتنشد الاناشيد و المدائح النبوية)[81]

الخاتمة:

توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أهمية كتاب الرحلة لابن حمادوش حيث يعتبر من المصادر القليلة التي أرخت للحقبة العثمانية في الجزائر، وكشفت عن أهم الجوانب للتاريخ الثقافي و الاجتماعي خاصة فيما يتعلق بالاحتفال بالمناسبات الدينية.
- شدة تعلق الجزائريين طوال تاريخهم و تعظيمهم وتبجيلهم لصحيح الإمام البخاري ، حيث أثر ذلك في عاداتهم و أعرافهم و حياتهم، وبلغ من القداسة مالم يبلغه كتاب غيره بعد كتاب الله.
- من مظاهر العناية و الاهتمام الذي أولاه الجزائريون لصحيح البخاري الحرص على قراءته و ختمه في المنسبات المختلفة ، و قد تنوعت هذه الختمات بين: الختمات العلمية ، و الختمات التبركية ، و الختمات التعبدية في شهر رمضان.
- حرص الجزائريون أسوة بنظرائهم المغاربة في الشمال الإفريقي على سنة و عادة حميدة وهي سرد البخاري وختم البخاري خلال شهر رمضان من كل سنة، وصاحب ذلك مجموعة من العادات و التقاليد التي تدل على تبجيل و تعظيم الجزائريين لهذا الكتاب.
- تعتبر رحلة ابن حمادوش من أهم المصادر التاريخية التي وثقت لهذه العادات و التقاليد، حيث تمتع الرحالة ابن حمادوش بقدرات تصويرية عالية ، جعلت من رحلته ذاكرة حية لتراث الأمة الجزائرية.

---

[79] -المصدر نفسه ، بتصرف ، ص126

[80] -المصدر نفسه.

[81] -الثغر الجماني، ص180.

قائمة المصادر و المراجع:

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله ، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة ، 2007.
- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، القسطلاني، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1، 1996.
- الأعلام،الزركلي، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1969م.
- تاريخ الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 1998م.
- تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط7، 1994.
- تحفة الأحوذي ،المباركفوري، تحقيق: عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1410هـ/1990م.
- تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، محمد بن عبد القادر الجزائري، المطبعة التجارية ، الإسكندرية، مصر، 1953.
- تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، موفم للنشر، الجزائر، 1991م.
- الثغر الجماني في فتح ابتسام الثغر الوهراني،ابن سحنون الراشدي، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة ، الجزائر، ط1، 2013.
- الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحميسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- الجزائريون و صيام شهر رمضان على ضوء الكتابات المحلية و الأجنبية خلال القرنين 18و19، نجاح سعدون، مجلة العبر للدراسات التاريخية، المجلد3، العدد:02، سبتمبر 2022.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان، تحقيق: علي حسن، دار الجيل ، بيروت.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام ابن سودة، ط 1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418 هـ/ 1997 م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد ابن مخلوف ، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر،1349هـ.
- الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته و آثاره، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 2005.
- كتاب الوفيات، ابن قنفد القسنطيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ،لبنان، ط4، 1403هـ/1983م.
- كيف تعامل الجزائريون مع صحيح البخاري، عبد الرحمن دويب، مقال على جريدة الشروق اليومي بتاريخ :2008/09/03.
- -لسان المقال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1983، د.ط.
- مدرسة البخاري في المغرب، يوسف الكتاني ، دار لسان العرب، بيروت ، لبنان، د,ط، د,ت.
- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق: توفيق مدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1974.

- المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، ابن مرزوق التلمساني، تحقيق:ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للنشر و الطبع، ط1، بيروت، 1975م،ص365.
- موظفو المساجد في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، محمد ميلودي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد:51، 2019.

- نزهة الأنظار، الورثلاني، تحقيق:محمد بن شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، ص92,د.ط، د,ت.
- نشر أزاهر البساتين، ابن زاكور المغربي، تحقيق :محمد ضيف و محفوظ بوكراع، دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الحراش، الجزائر، 2011.
- واقع الاحتفالات الدينية في الجزائر العثمانية على ضوء رحلة ابن حمادوش الجزائري، عبد الله موساوي، مجلة آفاق فكرية، المجلد:04، عدد خاص، 2018.